



الهدى والضلال

11 برنامج همسة محب

اللقاء الثامن من تفسير سورة سبأ | شرح الآيات 46-54

2024-08-26

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.
هذا لقاءنا الأخير من لقاءات سورة سبأ، ومع الآية السادسة والأربعين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خُفٍّ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ خُفٍّ ۖ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ ۖ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ ۖ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ ۖ (46)
(سورة سبأ)

معنى الوعد:

أيها الكرام: (قُلْ) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، (إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ) والوعد هو أن تذكر إنساناً بشيء يعرفه ولكن غاب عنه هذا الشيء، أصل الوعد أنك تذكر إنساناً بشيء يعرفه ولكن نسيه أو غفل عنه في رحمة الحياة، فتعيته، والوعد فيه بشاره ونبذارة، يعني أن تقول له إن فعلت كذا فلك الجنة، وإن فعلت ذاك فيخشي عليك أن تستحق عذاب النار، فتعطيه، تزجره عن شيء سيء وتشجعه على شيء حسن، (قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوَادَّةٍ) أعطاكم بواحدة، أي لن أكثر عليكم الوعد، هي موعظة واحدة، وقد ورد في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة السامة

{ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمٍ حَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَتُسْتَهْيِيهِ، وَلَوْ دَرَدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْتَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُؤْمِلَكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْآثَامِ، كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.

أي يعظمهم بين الحين والآخر لئلا يملؤوا، وهذا أدب تربوي قرآني ونبوي، أنت عندك أولاد، إذا أكثر الوعد كل يوم، كل ما فعل شيء تقول له هذا لا تفعله، هذا خطأ، هذا ممكن وهذا غير ممكن، فيمَلِّ، ويشعر وكأن المراقبة عليه قد أصبحت شديدة فيمَلِّ، أمّا إذا تخوّله بالموعظة، كل يوم وجهته بشيء محدّد، ثم غبت عنه، ثم عُدت بالموعظة، فإنه يستمع منك.

(قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاجِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ) اجعل قيامك لله في كل شأن من شؤون حياتك، أعظم موعظة أن تقوم لله، ليس القيام هنا بمعنى أن تقف على قدميك، ولكن بمعنى أن تكون حركتك سواء كنت قائماً أو قاعداً، أن تكون لله، قال إبراهيم عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)

(سورة الأنعام)

فأن تجعل قيامك لله، حركتك لله، توجهك لله، أهدافك لله، طموحاتك لوجه الله، **(أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ)** ألا يكون قيامك إرضاءً لغني أو قوي، لطاغية لمن هم من أهل الأرض، اجعل قيامك خالصاً لوجه الله، **(قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاجِدَةٍ)** موعظة واحدة، لكن تحتها آلاف البنود، أي إذا صح قيام الإنسان لله فلم يبق شيء، كله سيكون وفق المنهج خالصاً لوجه الله، هي واحدة ولكن تندرج تحتها آلاف مؤلفة من البنود، اجعل قيامك لله، هذا الدرس الأول.

(أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتْنِي وَفَرَادِي) لماذا متني وفرداي؟ القرآن يحض على المجموع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

(سورة البقرة)

واو الجماعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

(سورة التوبة)

الإسلام والقرآن يحضّان على المجموع:

فالإسلام يحضّنا على الجماعة، وأن نجتمع على الخير، وأن نسعى للخير، لكن هنا لماذا قال متني وفرداي؟ متني يعني اثنين اثنين، أنت وأخ لك، وفرداي يعني وحدك، لماذا جعل القيام هنا متني وفرداي؟ قال لأن الإنسان عندما يكون حاله من الذين يخاطبهم الله تعالى في هذه الآيات، وهو يخاطب هنا المشركين البعيدين عن الحق، فإنه عند وجوده مع المجموع بشكل دائم، هناك من يُنبهه عن عزمه، هناك من يمنعه مما همّ به بالحق، نحن جماعة المؤمنين نتجمع على الخير دائماً، كل واحد فينا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاجتماعنا خير، لكن هم اجتماعهم يكون على باطل دائماً، يجتمعون على الباطل، فإذا همّ إنسان بفعل خير أقعدوه عنه، فالجماعة عندما تمنعك من الخير فقم لله فرداً، أو مع أخ لك تنق به، لكن عندما تكون الجماعة تأمرك بالخير وتحضّك عليه فهي نعمة، فالجماعة نعمة أو نقمة، مجموع المؤمنين نعمة، لكن مجموع المُبْطِلِينَ نقمة، لذلك هنا قال متني وفرداي، لأن مجموعكم دائماً بأمركم بالمنكر.

أبو طالب ما الذي منعه من الإسلام؟ قال: وتغيّرني قريش، تقول إنما أسلم مخافة الموت، كان الذي يمنعه رغم أنه ناصر نبي الله صلى الله عليه وسلم، كان الذي يمنعه هو من حوله، البطانة السيئة، التي تأمره بالمنكر وتناه عن المعروف، فالإنسان أحياناً بحاجة لحظة فيها صفاء فكري، يناقش الموضوع فيه وحده، فيقول لماذا فعلت كذا؟ ما الذي يمنعني من كذا.

نُعيم بن مسعود رجلٌ أصبح من كبار الصحابة، في معركة الخندق المسلمون على طرف والمشركون على طرف، وهو في خندق المشركين، وجاء من بني غطفان ليُتحد مع قريش مع الأحزاب ليحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الليل جلس مع نفسه جلسة صفاء، استلقى في خيمته ولم يأنه النوم، فلقى، حربٌ ضروس، نظير في السماء، النجوم وما فيها من عبر، بدأ يخاطب نفسه، حوار داخلي يُسَمُّونه، يا نُعيم ما الذي جاء بك من سهلك ويدوك وجيلك لتحارب هذا الرجل، أترأه قتل لك أحداً، سفك دمًا، انتهك عرضاً، ما الذي جاء بك لتحاربه؟ انتفض من وقته وتسلل إلى المسلمين، واستندل على خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه، وقف النبي قال: نُعيم؟ قال: نُعيم، قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئتُك مسلماً، فأمرني بما شئت ولن يعلموا بإسلامي، فقال خذل عناً ما استطعت، إنما أنت فينا امرؤ واحد، لكن بإمكانك أن تخذل، وكان نُعيم أحد أسباب النصر في الخندق، لأنه أوقع بين اليهود المتجمهرين مع الأحزاب وبين قريش، فقال لقريش إن اليهود جاؤوا وسيطلبون منكم رهائن، حتى إذا حصل شيء يكون لديهم رهائن، وجاء لقريش وقال لهم إذا طلبوا الرهائن لا تعطوهم الرهائن، لأنهم سيقتلونهم، فذبّ الخلاف بينهم وأرسل الله ربحاً اقتلعت قلوبهم، وما كان من تجمعهم، وانتصر المسلمون وكان أحد أسباب انتصارهم نُعيم، وكان أحد أسباب إسلامه، وقفة صادقة مع النفس، قام لله فرداً، تفكر، ما الذي يدفعني لماذا أفعل، لَمَّا خلا له الجو انتصرت الفطرة على نوازع الشر.

فقال: **(إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَاجِدَةٍ أَنْ تَعُودُوا إِلَهُ مَنَى وَفِرَادَى)** إمَّا أنت وشخصٌ تثق به، تعطيه فكرة فيؤكدها لك، أو أن تقوم لله وحدك، منى وفِرَادَى، المجموع هنا ليس له أي قيمة، لأنه مجموعٌ على الباطل.

قال: **(ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)** هذه اللحظة التي قلنا فيها لحظة التفكير، ما هو التفكير هنا؟ قال: **(مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ)** صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل ما برسول الله من حِجَّة، وإنما قال بصاحبكم لأنهم يعرفونه، يلقبونه بالصادق الأمين، يعرفونه قبل البعثة، ويعرفون عن هو، ويعرفون أنه ما كذب عليهم قط، فلماذا يكذب عليهم الآن؟ المجموع كما قلنا أحياناً يكون نعمة، لَمَّا النبي صلى الله عليه وسلم، جمعهم بعد البعثة وأراد أن يُعلن، قال لهم لو كنت أخبرتكم أنَّ خيلاً يُغير عليكم من خلف هذا الوادي أكنتم مصدقين؟ قالوا نعم، ما جَرَّبْنَا عليك كذباً، قال: **(نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ)** قام أبو لهب وقال: تَبَّأَ لكَ ألهذا جمعتنا، أنت كذاب، الآن نقول إنني صادق وأمين، بلحظة تحوّل!

{ لَمَّا تَرَلْتَ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّخَا، فَجَعَلَ يُتَارِي: يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِيُطَوِّنَ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيُنْظِرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُرَيْشٌ، فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ؛ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟** قالوا: **نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأَ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنِي؟! فَتَرَلْتَ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} {**

(أخرجه البخاري ومسلم)

المجموع أيضاً عندما الرجل اليهودي ابن سلام، لَمَّا دخل مع المجموع، لَمَّا قال لهم أنعرفوني؟ قالوا نعرفك، أنت خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فلَمَّا قال لهم أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا أنت شرُّنا وابن شرُّنا، وسببنا وابن سببنا، قوم بُهت كذب.

{ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَتَعَلَّمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنِّي قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَذَابُ الْيَهُودِ مِنَ الصَّلَاحَةِ، قَالَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارُ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ قَرِيبَادَةٌ كَبِيدِ الْخُوبِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ تَرََعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ تَرَغَبَ الْوَلَدُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ قَاسَاهُمْ عَنِّي، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟ قالوا: خَيْرُتَا وَابْنُ خَيْرِتَا، وَأَفْضَلُتَا وَابْنُ أَفْضَلِتَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالُوا: أَغَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قالوا: شَرُّتَا وَابْنُ شَرُّتَا، وَتَقَصُّوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {**

(صحيح البخاري)

العبرة في وجودنا مع المجموع أن تُطَبَّقَ سياسة شدِّ الحبل:

فالمجموع كثيراً ما يكون دافع للسوء وليس للخير، لذلك نقول دائماً العبيرة في وجودنا مع المجموع أن تُطَبَّقَ سياسة شدِّ الحبل، فمتى كان وجودك مع المجموع يؤدي بك أن تشدهم إليك فافعل، ومتى كان وجودك مع المجموع، أقصد المجموع السيئ طبعاً، أن يشدّوك إلى المنكر فاتركهم، القوة بيدك وأنت تشدّ الناس إلى الله فافعل، القوة بيدهم وهم يشدونني إلى معاصيهم ومنندايانهم وأهوانهم فأعرض عنهم.

(قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَاجِدَةٍ أَنْ تَعُودُوا إِلَهُ مَنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا جاءهم بالدعوة إلى الله تعالى انهموه بالجنون، وهي الجَنَّة بكسر الجيم، وهو غياب العقل، ستر العقل وغيابه جنون، والجَنَّة هي الوقاية التي تستر بينك وبين المعصية، فالصيام جَنَّة، والجنَّة هي تلك الدار التي أعدها الله للمتقين، وشُقِّيت جَنَّة لأن الأغصان فيها تكانفت حتى أصبحت ظلاً ممدوداً، غطت وجه الأرض، فهي جَنَّة وَجَنَّة وَجَنَّة، كلمة مثلثة، فالجنون هو غياب العقل، والنبي صلى الله عليه وسلم أنهم بهذه التهمة، والله تعالى ذكر هذه التهم في كتابه، ساحر، مجنون، شاعر، كاهن، كذاب، حاشاه صلى الله عليه وسلم، لكن الله تعالى ذكر هذه التهم في كتابه، التي اتهم بها أهل الباطل، لِيُبَيِّنَ أَوَّلًا أَنَّ هذا القرآن هو كلامه، فالإنسان لا يُبَيِّن في سيرته الذاتية ما تكلم به أعاده.

أنا اليوم إذا أردت أن أكتب سيرة ذاتية لنفسي، وهناك شخصٌ سفيه تكلم عليّ بالباطل، فلا أذكر في سيرتي الذاتية أنّ فلان قال عني كذا وكذا وأحذفها، لكن الكلام لأنه ليس كلام محمد صلى الله على نبينا محمد، فإنّ الله تعالى ذكرهم الباطلة في القرآن، يقرؤون ما قالوه في كتاب الله تعالى، ثم وهو الأهم، من أجل أي داعية أو أي شخص يدعو إلى الحق ثم ينهمه الناس في دينه وفي عرضه وفي كلامه، من أجل أن يكون له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فيقول في داخله من أنا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكلموا عن رسول الله واتهموه بالسفه والجنون والكذب، فمن أنا، فإن أتحمّل في سبيل الدعوة وليقولوا ما شاءوا، هذا هو العبرة من ذكر هذه الصفات في كتاب الله رغم بطلانها.

لكن الله تعالى دعاهم أن يقفوا وقفةً صادقةً مع أنفسهم، ويتفكروا أنّ هذا الرجل الذي تصفونه بالجنون هو سيد الحكماء، والرجل الذي دعوتهم يوماً ليحكم بينكم لمّا اختلفتم من يضع الحجر الأسود في مكانه، فكان حكمه الحق، وهو الرجل الذي تلقبونه بالصادق الأمين، وهو الرجل الذي ما علمتم عليه كذباً، وهو الرجل الذي قال عنه جعفر رضي الله عنه للنجاشي: "حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه"، فلخص جعفر رضي الله عنه أخلاق النبي بثلاث أمور، الصدق والأمانة والعفة، وأي شخص تتوفر فيه هذه الأمور الثلاثة فهو على مرتبة عالية من الأخلاق، لأنها تجمع أصول الأخلاق ومكارم الأخلاق، نعرف أمانته وصدقه وعفافه، إن تكلم فهو صادق، إن عاملك فهو أمين، إن استثيرت شهوته فهو عفيف، ماذا بقي من مكارم الأخلاق؟

أنت إمّا تتكلم بالصدق، وإمّا تعامل الناس بالأمانة، وإمّا أنك في موقفٍ فيه شهوةٌ تستتار، فأنت عفيفٌ عن المحارم والمأثم، قال نعرف قبل البعثة، نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، وبأني النسب تاجاً يُرفع هذه الثلاثة، فوجوده معها قوة، ووجوده من غيرها لا قيمة له، لكن النسب بعدها تاجٌ على رأس هذه الأخلاق الحميدة.

(ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ) تعرفونه، وتعرفون أنه جاء بالحق، ولكنه يعارض مصالحكم، (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ) لخص هنا بعثته بالإنذار، لأنه يخاطب المشركين، والخطاب هنا بالبشارة ليس موضعه، الحكمة أن تتكلم الكلام المناسب في المكان المناسب، النبي صلى الله عليه وسلم بشيرٌ ونذيرٌ، لكن موطن الخطاب هنا لمن؟ للكافرين، فنبشروهم بماذا؟ قال: (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ) والنبي صلى الله عليه وسلم لمّا وقف بينهم وقال: كنتم مصدقي، قالوا نعم، قال: (نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) المكان هو مكان إنذار، وأحياناً يكون المقام مقام تبشير، وفي الأمور العامة المقام مقام إشارة ونذارة، إشارة بالخير وإنذار من السوء معاً، (بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۚ إِنِ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)

(سورة سبأ)

من الأسباب التي تدعو أتباع الرسل للاتباع ألا يسألهم أجراً:

من الأسباب التي تدعو المدعو لأن يستمع لدعوة الداعي، ألا يطلب الداعي على دعوته أجراً، من الأسباب التي تدعو أتباع الرسل للاتباع ألا يسألهم أجراً، وهذا ما قاله كل الأنبياء، (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ) ما أسألكم عليه أجراً، إلا المودة في القربة، فالأجر متى أخذ المال أتهم بأنه يدعو بمقابل شيء، يريد منهم شيئاً، لكن لمّا يكون الداعي لا يريد من المدعو شيئاً إلا أن يستجيب للحق، فهذا من أسباب الاستجابة، فقال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أي هذا الذي أدعوكم هو في النتيجة خير لكم، (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۚ إِنِ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) لا أطلب الأجر إلا من الله، وقد ذكرت لكم سابقاً أنه لا أحد في الوجود لا يطلب أجراً على عمل أبداً، لا يوجد شخص بالوجود كله يعمل عملاً لا يريد من وراءه أجراً، لكن إمّا أن يكون الأجر في الدنيا، أو أن يكون طالباً للأجر عند الله، فالأجر موجود، لا أحد يعمل عملاً ويقول لك لا أريد شيئاً، والفالح والناجح هو الذي يذخر أجر كثيراً من أعماله عند الله تعالى، والمتسرع والذي لا يؤمن إلا بالشهادة هو الذي يستعجل دائماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهِنْتُمْ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

(سورة الأحقاف)

(إِنِ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) مُطَّلَعٌ جَلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْزِلُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ (48) (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) (49)

(سورة سبأ)

الحق والباطل ثنائية، أحدهما ينقض وجود الآخر:

الحق والباطل ثنائية، أحدهما ينقض وجود الآخر، فإمّا حقٌ أو باطل، الحق هو الشيء الثابت، حقّ الشيء يحق إذا ثبت، والباطل هو الشيء الزائل والزاهق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

(سورة الإسراء)

والحق هو الشيء الهادف، فكل شيء يهدف إلى خير فهو حق، وكل شيء عابث ليس له هدف فهو باطل، لو أنشأنا جامعة، الجامعة حق، بمصطلح أهل الدنيا، تُنشئها ونجعل فيها المكتبة والمختبرات العلمية، شيء ثابت له هدف وهو بناء الأجيال، وتخريج العلماء، لو أردنا أن ننشئ سيركاً لأيام العيد الثلاثة، ننشئه من مواد قابلة للإزالة فوراً، يبنى في ساعاتٍ ويزال في ساعات، فهو شيء عابث لا هدف له إلا بعض المتعة الزائلة، وزائل، فليس ثابتاً ولا هادفاً، الحق ثابت وهادف.

فرينا جلّ جلاله يقذف بالحق، القذف: هو الرمي بشدة، وكأن الله تعالى هنا بعد أن أمرهم بأن يقوموا لله وأن يتفكروا، وأن يعملوا عقولهم ليصلوا إلى الحق، كأنهم قد يتوهمون أنّ الحق ضعيف، فبحاجتهم، فجاءت الآيات بشدة بعد ذلك (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) الحق قوي لا يحتاجك ولا يحتاجني، الحق أقوى من أن يتقوى بي، الحق لا يتقوى بأحد، الباطل يحتاج إلى قوة تحميه، الحق لا يحتاجني ولا يحتاجك، لأن قوته تنبع من ذاته، لكن أنا الذي أحتاجه، فقال: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) والقاذف عندما يرمي المقذوف، قد يصيب وقد لا يصيب، لكن الذي عنده علم يصيب، فقال: (عَلَامُ الْغُيُوبِ) العلام مبالغة من عالم، فهو كثير العلم جلّ جلاله، ويعلم الغيب فكيف لا يصيب بالحق مواضعه، القذف هو الرمي، وكأن الله تعالى يُشَبِّه الحق بمقذوفٍ شديد، ترمي به فيصيب الهدف فيقضي على الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)

(سورة الأنبياء)

يقذف بالحق على الباطل.

(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) وكان الحق رجُلٌ، هذا تشخيص، (جَاءَ الْحَقُّ) وكأنه شيء يأتي (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) أي لم يبق للباطل شيء إذا جاء الحق، لبيد أنه أو ليُعيد تكوينه، فقد أصبح لا شيء، لَمَّا يَأْتِ الحق بقوته لا يبق للباطل وجود.

الحق لا يضعف بضعف أتباعه:

لكن اليوم انتفش الباطل، فظنّ بعض ضعاف الإيمان أنّ الباطل فيه قوة، أو أنّ له ثبات، وأنّ له استمرار، وهذا من أعظم المحن، والله أئبها الكرام نحن نعيش الآن أعظم فتنة في هذه الأيام، الفتنة غير موجودة عندما ترى الحق وقوة الحق، عندما عاش المسلمون في العصر الأموي وحتى في العصر العباسي أو قبلها في العصر الراشدي، الحق ظاهر القوة، والباطل منزوي، هناك وضوح بالرؤية، لكن اليوم عندما يظهر الباطل على أنه قوي فينتفش، ويشعر المسلم أنّ أهل الحق قد ضعفوا، فضعف الحق بضعفهم، والحق لا يضعف بضعف أتباعه، لكن يظهر ذلك للناس، ففي هذه اللحظات لا يثبت على الإيمان إلا من هو يقبض على دينه كما يقبض على الجمر

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض

على الجمر }

(رواه الترمذي)

لذلك قال صلى الله عليه وسلم أجر الواحد بسبعين، قالوا ممّا أم منهم، قال: بل منكم لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون.

{ قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم قال بل أجر خمسين منكم }

(الألباني صحيح الترغيب)

الأجر على قدر المشقة، انتفash الباطل اليوم جعل الكثيرين ينساقون وراء الأعداء، يتزلفون لهم يتقربون منهم، يُطَبِّعون معهم، يتقربون من إعلامهم السيء، يتبنون الرواية الصهيونية البائسة، لماذا؟ لأن الباطل انتفش وأهل الحق انزوا بسبب الضعف الذي نحن فيه، والذي هو من صنع أيدينا شئنا أم أئبنا، هو تراكم سنوات غفلنا فيها عن ديننا وعن الدفاع عن حقنا.

(سورة سبأ)

(سورة الجن)

(سورة الشعراء)

(صحيح ابن حبان)

وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۖ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(28)

فالله لا يرضى لأهلنا في عِزَّة ما يحصل، ولم يأمر به، لكنه جَلَّ جلاله سمح بوقوعه، إذن به، ليتخذ شهداء؟ نعم، ليرفع مقام من يرتفع؟ نعم، ليفصح المنافقين؟ نعم، لبيِّن قوة المرابطين؟ نعم، لبيِّن أنَّ أهل الحق متمسكون بحقهم؟ نعم، لئُرينا من آياته في رضا من يرضى عن الله عزَّ وجلَّ رَغْم ما يجد من الهمح والشدائد؟ نعم، لئُرينا وهم في الخيام يقرؤون القرآن ويسردونه في جلسٍ واحدة، ونحن في رخاء وعافية ولا نكاد نفتح المُصحف في الأسبوع مرَّة؟ نعم، عدِّد ما شئت، أذن الله بذلك، وهو لا يرضاه ولا يحبه ولم يأمر به، ولن يُعفي أحداً من المسؤولية، وسيُحاسَب الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم ۚ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

(سورة النور)

لكن العقاب موجود، فما يقع في مُلك الله يقع بإذنه، لكن الله عزَّ وجلَّ يُجِيزه و يُهيِّئه بحكم جليلة وعظيمة لما فيه الخير في محصَّلة الأمر وفي نهايته، نعود إلى الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْ إِنْ صَلَّيْتَ قَائِمًا أَوْ سَاجِدًا عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)

(سورة سبأ)

الفعل فعل الله لكن الشر والصلال في الحقيقة هو سوء استخدام من الإنسان:

فلنا هذا أدب نعم، أنا ضللت أنا ضللت، أما الهداية (فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) لكن في الحقيقة في العمق بعد الأدب مع الله عزَّ وجلَّ، في الحقيقة وفي العمق، الضلال هو فعلاً والشر فعلاً هو سوء استخدام من الإنسان، أنت عندما تتبع منهج الله تعالى، فأنت اهتديت بما يوحى إليك الله تعالى، لكن لما ضللت عن الطريق هل الله تعالى هو الذي شرع طريق الضلال فضلت به أم أنا الذي ضللت؟ في الحقيقة في العمق، في العمق الله تعالى قال لي اذهب من الهداية أنا الذي ذهبت في الضلال، هو لا يرضى لي طريق الضلال، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا تَرْضَىٰ لِعبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

(سورة الزمر)

الفعل فعل الله، لكن الشر والصلال في الحقيقة هو سوء استخدام من الإنسان، السبارة عندما تسير في الطريق المُعبَّد الأمور سليمة، لا يوجد أصوات، والوضع جيد، إذا قادها شابٌ متهوِّر ونزل بها في الوادي فحطمها، ما تنتظر إليها فتقول من الشركة الصانعة لهذا الدمار، سوء الاستخدام هو الذي أنشأ هذا الدمار، والله المثل الأعلى، فالله عزَّ وجلَّ ما أراد بنا سوءاً، ما أراد بنا شراً، أراد بنا الخير والهداية، لكن لما كُنا مُخبرين، سلكتنا طريق الضلال، والعباد بالله، فضلنا، فهذا هو المعنى في العمق.

لكن لا شك أن كل ما يحدث في الكون، يحدث بإرادته جَلَّ جلاله، ولا يليق بملك الله، أن يحدث في ملكه شيء لا يريد، حاشاه جَلَّ جلاله، (فُلْ إِنْ صَلَّيْتَ قَائِمًا أَوْ سَاجِدًا عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) ضلالي على نفسي، يسمع الدعاء ويُجيبه، فهو قريب جَلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ قَرَعُوا قُلُوبًا وَاجِدُوا ۖ وَاجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (51)

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) هذه تشبه ما مرّ في السورة قبل ذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الطَّاغُوتُ مَوْفُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)

(سورة سبأ)

أين الجواب؟ ليس هناك جواب، أي ولو ترى لرأيت عجباً، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الطَّاغُوتُ مَوْفُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ) لرأيت دُلهم وانكسارهم وهوانهم، تركها مفتوحة، وهنا قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا) فرغوا من هول الحسرة، من هول الصبحة، من هول الوقوف بين يدي الله، فلا قوت، فلا مهرب ولا منجاة، انتهى في قبضة الله (وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) في الآخرة أصبحوا في قبضة الله، وكلنا في قبضة الله في كل حال، (وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) للعذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (52)

(سورة سبأ)

العبرة أن تؤمن بالغيب لا أن تؤمن بالشهادة:

وهذا يشبه إيمان فرعون لما أدركه الفرق قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو
إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

(سورة يونس)

لكن فات الأوان، وبشبهه من دخل إلى الامتحان ولم يُجب على أي سؤال، ولما خرج فتح الكتاب فقال عرفت الأجوبة، فقبل له قد انتهى الوقت، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ) هو التناول، يعني أني لهم تناول الهداية، تناول التوبة، الرجوع إلى الله، انتهى الوقت، من مكان بعيد، وقد أصبح بينهم وبين الدنيا التي هي موطن التكليف، بُعد شديد، انتهى الوقت، (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ) كل الناس إذا رأوا الشهادة يؤمنون، لكن المطلوب أن تؤمن بالغيب.

الإنسان الذي يرى العذاب فيؤمن هذا ليس إيماناً، أنت واقف في مكانك والنار بعيدة هناك، المطلوب أن تهرب الآن، أمّا إذا وصلت النار لا تقول سأهرب، انتهى الوقت، أحرقت النار من فيها، لذلك الدين هو إيمان بالغيب، أكررها دائماً ولا أمل منها، الدين غيب، أن تؤمن بالغيب، لا أن تؤمن بالشهادة، الشهادة انتهى الوقت، عندما يرى الناس العذاب سيؤمن الناس جميعاً، ولكن بعد فوات الأوان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۖ وَيَعْذِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (53)

(سورة سبأ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ
(54)

(سورة سبأ)

(وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ) أي يرمون بالباطل، (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ) الحيلولة هي أن يحول شيء بينك وبين شيء آخر، حائل، (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ) الإيمان يقين، لكنهم كانوا في شكٍّ من أمر الآخرة، هل هناك آخرة أم ليس هناك آخرة، الآن في الآخرة هم يشتهون الإيمان لكن أنتهى الوقت (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أي من الناس الذين قبلهم.

الشبهة: هم الذين يتشايعون على شيء، أي يتفقون عليه، يعني فلان من شيعة فلان أي من حزبه، الأشياع هم الذين يتفقون على شيء واحد، أو يكون بينهم مُشترك مُعَيَّن، فالمكذبون أشياع، والمؤمنون من شيعة أخرى (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ) والحمد لله رب العالمين.